من فقر وحاجة ونحو ذلك لعلهم يضرعون اي يدعون ويخشعون ويبتهلون الى الله في كشف ما نزل بهم
فما فعلوا شيا من الذى اراد منهم فقلب الحال الى الرخا ليختبرهم ولهذا قال ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة
اي حولنا الحال من شدة الى رخا ومن مرض الى صحة ومن فقر الى غنى ليشكروا فما فعلوا وقوله حتى عفوا اي كثروا
وكثرت اموالهم واولادهم وقالوا قد مس اباونا الضرا والسرا فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون يقول تعالى
ابتليناهم بهذا وهذا ليتضرعوا وينيبوا الى الله فما نجع فيهم لا هذا ولا هذا بل قالوا قد مسنا من الضرا
والباسا ثم بعده من الرخا مثل ما اصاب اباونا في قديم الزمان والدهر تارات وهذا بخلاف حال المومنين
الذين يشكرون الله على السرا ويصبرون على الضرا كما في الصحيحين عجبا للمومن لا يقضي الله له قضا الا كان
خيرا له ان اصابته ضرا صبر فكان خيرا له وان اصابته سرا شكر فكان خيرا له فالمومن يتفطن لما ابتلاه الله
من الضرا والسرا ولهذا جا في الحديث لا يزال البلا بالمومن حتى يخرج نقيا من ذنوبه والمنافق مثل الحمار لا يدري
فيما ربطه اهله ولا فيما ارسلوه او كما قال ولهذا اعقب هذه بقوله فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون اي اخذناهم
بالعقوبة بغتة اي على بغتة منهم اي اخذناهم فجاة كما جا في الحديث موت الفجاة رحمة للمومن واخذة اسف
للكافر ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا الى قوله القوم الخاسرون يقول تعالى مخبرا عن قلة ايمان اهل القرى الذين
ارسل فيهم الرسل كقوله فلولا كانت قرية امنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس الاية اي ما امنت قرية بتمامها الا قوم
يونس وقال تعالى وما ارسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها الاية وقوله امنوا واتقوا اي امنت قلوبهم
بما جاءت به الرسل واتبعوه واتقوا بفعل الطاعات وترك المحرمات لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض
اي قطر السما ونبات الارض ولكن كذبوا فاخذناهم بما كانوا يكسبون وقوله ضحى اي في حال شغلهم وغفلتهم
قال الحسن المومن يعمل بالطاعات وهو خايف مشفق وجل خايف والفاجر يعمل بالمعاصي وهو امن اولم
يهد للذين يرثون الارض الاية قال ابن عباس اولم يهد اولم يبين وكذا قال مجاهد وغيره وقال ابن زيد اولم
نبين لهم ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم قال ابن جرير يقول تعالى اولم يبين للذين يستخلفون في الارض
بعد هلاك اخرين قبلهم كانوا اهلها فساروا سيرتهم ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم يقول ان لو نشا
فعلنا بهم كما فعلنا بمن قبلهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون موعظة ولا تذكيرا قلت وهكذا
قال تعالى اولم يهد لهم كم اهلكنا من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم ان في ذلك لايات افلا يسمعون
وقوله وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم الاية وقوله وكم اهلكنا قبلهم من قرن هل تحس منهم
من احد او تسمع لهم ركزا اي هل ترى شخصا او تسمع لهم صوتا وقوله الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من

قرن

من قرن مكناهم في الارض الاية وقوله فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم الايتين الى غير ذلك من الايات الدالة
على حلول نقمه باعدايه وحصول نعمه لاوليايه تلك القرى نقص عليك من انبايها الايتين الى غير ذلك
لما قص تعالى خبر الامم وانه اعذر اليهم بان بين لهم الحق بالحجج قال تلك القرى نقص عليك من انبايها
اي اخبارها وقوله فما كانوا ليومنوا بما كذبوا من قبل   الباء سببية اي فما كانوا ليومنوا بما
جاءتهم به الرسل بسبب تكذيبهم بالحق اول ما ورد عليهم حكاه ابن عطيه وهو متجه كقوله وما يشعركم
انها اذا جاءت لا يومنون ونقلب افيدتهم الاية ولهذا قال هنا كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين
وما وجدنا لاكثرهم من عهد اي لاكثر الامم الماضية وان وجدنا اكثرهم لفاسقين اي ولقد وجدنا
اكثرهم خارجين عن الطاعة والامتثال للعهد الذي اخذه عليهم في الاصلاب وفطرهم
عليه وقيل ما روى ابو جعفر عن الربيع عن ابي العالية عن ابي فما كانوا ليومنوا بما كذبوا من
قبل كان في علمه تعالى يوم اقروا له بالميثاق اي فما كانوا ليومنوا لعلم الله منهم ذلك وكذا قال الربيع
واختاره ابن جرير وقال السدي ذلك يوم اخذ الميثاق فامنوا كرها وقال مجاهد هذا كقوله
ولو ردوا لعادوا الاية ثم بعثنا من بعدهم موسى باياتنا الى فرعون وملايه فظلموا بها فانظر
كيف كان عاقبة المفسدين من بعدهم اي الرسل المتقدم ذكرهم كنوح ومن بعده موسى باياتنا اي
حججنا الى فرعون وهو ملك مصر في زمان موسى وملايه اي قومه فظلموا بها اي جحدوا وكفروا بها
ظلما منهم وعنادا كقوله وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين
اي الذين صدوا عن سبيل الله وكذبوا رسله اي انظر يا محمد كيف فعلنا بهم واغرقناهم عن اخرهم بمراى
من موسى وقومه وهذا ابلغ في النكال واشفى لقلوب اولياء الله وقال موسى يا فرعون اني رسول من
رب العالمين اي ارسلني الذي هو خالق كل شي وربه ومليكه حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق قال بعضهم
حقيق بان لا اقول على الله الا الحق اي جدير بذلك حري به والبا وعلى يتعاقبان يقال رميت بالقوس
وعلى القوس وجا على حال حسنة وبحال حسنة وقيل حريص على ان لا اقول على الله الا الحق وقرا اخرون
حقيق علي بمعنى واجب علي حق واجب علي وحق علي ذلك الا اخبر عنه الا بما هو حق لما اعلم من
عز جلال الله وعظيم شانه قد جيتكم ببينة من ربكم اي بحجة قاطعة من الله اعطانيها دليلا على صدق

[illegible]

Copyright © King Saud University